11me Année No. 504

Lundi - 1 - 3 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٠٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق أول مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

رسالة الأديب

للدكتور زكي مبارك

رسالة الأديب — كلام قد ينفع — الخلوة إلى القلب

في أحد الأعداد الأخيرة من مجلة الجمهور البيروتية كتب الأستاذ إلياس أبو شبكة كلمة في السؤال عما ترك شوقي وجبران من التوجيهات النافعة في السياسة القومية، وهو ينتظر أن يجود الجيل الجديد بأدباء قادرين على خلق تلك التوجيهات. وفي العدد الأخير من مجلة المصور القاهرية كتب الأستاذ فكري أباظة يقول إن قصيدة ستالينجراد للشاعر علي محمود طه هزته هزاً، وهو يرجو أن يعود الشعراء المصريون إلى التغني بالقومية والوطنية، ولا سيما العقاد ومطران

وأقول: إن من رسالة الأديب أن يتجه إلى آمال وطنه من حين إلى حين، أو في كل حين، وفقاً لما يجيش بصدره من نوازع وميول، ولكن من العقوق للأديب أن نجحد فضله إذا لم يجعل الآمال الوطنية قبلته في جميع الأحايين

والقول الفصل في هذه القضية أن رسالة الأديب هي خلق ذوق الحياة، فمن الواجب أن تتجه مراميه جميعاً إلى ذلك الخلق في أي صورة، وعلى أي شكل. وقد قلت مرات: إن الأديب الحق هو الذي يستطيع بقلمه أن ينقلك من ضلال إلى هدى

أو من هدًى إلى ضلال . والمهم عندى أن يقدر الأديب على خلق الفتن الروحية والذوقية والعقلية ، بحيث تخرج من صحبته بمحصول جديد من القلق أو الاطمئنان . ولو كانت غاية الأدب أن يرسم لنا خطط المستقبل لوجب أن نترك الشعراء القدماء ، لأن أدبهم يعجز عن توجيه الجيل الجديد ، ولأنه من هذه الناحية أعجز من أدب شوقى وأدب جبران

أشعار المعرى لا تنفع القومية بشىء ، القومية فى مدلولها الحديث ، ولو شئت لقلت إنها كانت أذًى على قومية ذلك الزمان ، لأن منحاها يتجه إلى الهدم لا إلى البناء ، ولكن قراءة أشعار المعرى تنفع فى تقوية الذاتية ، وتروض القارئ على الاعتداد بالنفس ، وتثيره على الرياء الاجتماعى . وثمرات هذا الأدب لا تقل قيمة عن ثمرات الأدب الذى يرينا كيف نواجه مشكلات العصر الجديد

رسالة الأديب هى خلق ذوق الحياة ، أو هى نصر الحياة على الموت ، والقليل من هذه الرسالة فى هذا الاتجاه يصنع الأعاجيب فى إحياء الممالك والشعوب

كلام قد ينفع

صديقى ...

لم يبق بدٌّ من توجيه نظرك إلى أشياء خفيتْ عليك عدداً من السنين ، واستوجبت أن أزهد فى لقائك ، برغم ما بينى وبينك من وداد عجزت عن محوه الأيام . هى أشياء تملى منك ، فتصرفنى عنك ، وتجعل محضرك أثقل من الحديث المعاد

أنت ياصديقى مغرم بالسؤال عما لا يعنيك من شؤون الناس ، ولا سيما الموظفين ، كأنك تتوهم أن أعمالى تنحصر فى استقصاء الدقائق والخفايا من أحوال الزملاء ، وكأن الحياة عندى وعندك قيلٌ وقال ، وبحثٌ وسؤال ، مع أنك تعرف جيداً أنى لم أسألك يوماً عن شأن من شؤونك ، إلا أن تتلطف أنت فتستشيرنى فى بعض المعضلات من أحوال دنياك ، ثم تكون النتيجة أن أنسى ما أفضيت به إلىّ بعد لحظات قصار أو طوال

يجب أن تكون شواغلنا الحقيقية مقصورة على ما ينفع ، ولا نفع فى استقصاء أحوال الناس ، إلا فى الحدود المتصلة بالمعاملات ، ثم يمضى كلٌّ إلى سبيله المرسوم فى طلب الرزق أو المجد ، بلا التفات إلى الفضول الذى لا يتشهاه غير صغار العقول

ومن أثقل مايضجرنى منك حرصك فى كل لقاء على تذكيرى بالتقصير فى حق نفسى من الوجهة الدنيوية ، وأنا أبغض من يبصّرنى بأمور دنياى ، لأنى رسمت لحياتى كلها خطة لا أحيد عنها فى أى وقت ، وهى الظفر بأكبر نصيب من أنصبة الفكر والرأى . وهذا هو السبب فى أن تكون أوقاتى كلها مشغولة برياضات ذهنية وعقلية وروحية ، وهو أيضاً السبب فى طول الخلوة إلى القلم ، بحيث لا يمضى يوم يجوز نعته بالفراغ ، ولو كان من أيام الأعياد

والغريب أنك لا تسائلنى فيما أكتب ، ولا تحاول تنبيهى إلى ما يغيب عنى ، وإنما تسأل دائماً عما سأجنى من الأدب ، وتحاول بالتصريح أو التلميح أن تفهمنى أن كل شىء ما خلا المالَ ضياع فى ضياع !

وأنا لا أزهد فى المال ولا أدعو إلى الزهد فيه ، ولكنى أفهم أن الغِنى بالنسبة إلى أهل العلم والأدب غِنًى محدود ، وينبغى أن يظل كذلك لتبقى لأهل العلم والأدب أشواق إلى المعانى ، وليتحرروا من أسر الغنى الفضفاض ، فله شواغل تحدُّ من وثبات العقول ، وسَبَحات الأرواح ، وخطرات القلوب

ليس لى بصديق من يختار لى غير ما اخترت لنفسى ، وأنت تخذّلنى تخذيلاً فظيعاً كلما لقيتنى ، لأنك تحاول تهوين نعمة الله فى قلبى ، وأنا أعتقد أنى من الذين منّ الله عليهم بنعمة التوفيق ، فله الحمد وعليه الثناء

أتريد الحق ؟

الحق أنك تحاول الدفاع عن كسلك بأسلوب ملفوف ، فأنت تهون من شأن الجهاد الأدبى بحجة أنه قليل الربح ، وتلك حجة واهية ، فللجهاد الأدبى أرباح أيسرها الشعور بقيمة الجهاد ، ولو كان لى أملٌ فى تقويمك لذكرتك للمرة الأولى بعد الألف بأن حياتك صارت غاية فى الهُزال ، وأنك لا تستحق اللقمة التى تأكل ، ولا الخرقة التى تلبس ، وما أنفقه أهلك وأنفقته الدولة فى تعليمك وتثقيفك قد ضاع إلى آخر الزمان

عندك ألقاب علمية ، وبيدك وظيفة رسمية ، ولـكنك على نفسك وعلى الوطن بلاء

كيف يجوز أن تمرّ أيام وأسابيع وشهور وأعوام ولا نقرأ لك بحثاً جيداً أو غير جيد ، ولا نسمع من أخبارك غير البراعة فى تسقُّط أخبار الناس ، ولا نلقاك إلا فى القهوة إن أردنا أن نلقاك ، ولا نأخذ عنك غير المعلومات السخيفة عن الدرجات والترقيات ؟ وكيف يكون كل همك أن تسألنى عما بينى وبين الرؤساء من صلات ، ولا يخطر فى بالك أن تسألنى عما بينى وبين الله من صلات ؟

وتعيب على أن أقضى أيامى فى نضال وصيال ، فما الذى غنمت أنت من قضاء دهرك فى التلطُّف والتظرُّف ، بمصانعة هذا ومجاملة ذاك ؟

ما تذكرت ماضيك إلا تحسَّرتُ وتفجعت ، فقد كنت فتى مرجو المخايل ، وكان جهادك فى طلب العلم مضرب الأمثال ، فكيف وقع حجر الجمود فوق رأسك فشطره شطرين ، شطراً للنميمة وشطراً للاغتياب ؟

وأنا مع هذا أحبك وأحفظ عهدك ، ولـكن كيف أتقى شرك ، يا شرِّير ؟

إن لقاءك يؤذينى أعنف الإيذاء ، لأنه يربينى فى العدل ، فما يجوز لمن يكون فى مثل حالك من تعطيل مواهبه الأساسية أن يجد القوت

إرتع والعبْ ، فإن الرزق لا يفوت السوائم المهملات !

صديق

لا تفكر فى لقائى بعد اليوم ، إلا أن تغيِّر ما بنفسك ، فترجع فتى كالذى عهدت ، فتى يعتمد على الله لا على الناس ، ويؤمن بأن الله لا يرفع أحداً بغير حق ، لأنه يضع الموازين فى جميع الشؤون ، بحيث يمكن القول بأن المصادفة لا مكان لها فى الوجود

أتراني ألقاك مع الرجاء لا مع الخوف ؟

أنا أخاف من لقائك لأنك تخذلنى وتعوقنى ، أيها العالم الجبان!

لطف الله بى وبك ، وهدانى وهداك !

الخلوة الى القلب

لا أدرى كيف صرت إلى ما صرت إليه من الزهد فى لقاء الناس ، أو لعلنى أدرى ، فقد صرت لا أفكر فى لقاء صاحب أو صديق إلا إذا وثقت بأن لقاءه يوحى إلى القلب أشياء

وهل يتسع الوقت لمسامرة من لا يوحون بشىء ؟

إن الحياة أقصر من أن نضيعها فى مصاحبة الموسومين بالغباوة والجهل

الصديق الذى أجالسه فيثير فى نفسى الشوق إلى امتشاق القلم لتدوين بعض المعانى هو الصديق ، وأنا أرحب بلقائه فى كل حين

والأصل فى الصديق أن يكون على مثال القلب ، فتحاوره كما تحاور قلبك بلا تحفظ ولا احتراس ، عندئذ يتفتح القلب عن مكنونات يبدعها الحوار اللطيف

ومن أدبى فى حياتى أن أحرص أشد الحرص على أصدقائى ، وأن أتعصب لهم بحق وبغير حق ، وأن أنتهز الفرص للحديث عنهم ولو فى صورة الملام ، وكان ذلك لأنى أومن بأن من حق من وثقوا بنا فصادقونا أن نبذل فى البر بهم ما نملك من كلمة الخير ، وهى كلمة لا يضن بها غير المفطورين على الشح اللئيم

والخلوة إلى القلب ، أو إلى الصديق الذى بمنزلة القلب ، هى فرصة الوحى الأدبى ، وهذه الخلوة كانت السبب الأصيل فى تفوق الأدباء القدماء

وهل ننسى أن الأنبياء لم يتلقوا الوحى إلا فى أعقاب الخلوات إلى القلوب ؟

أقول هذا لأشرح السبب فى قلة الشعر بجميع البلاد فى هذا العهد ، فالشعر لا يكون إلا بالغناء ، ولا يتيسر الغناء مع الضجيج

إن أحلام القلوب لا تجمع بسهولة ، وكيف وهى فى شرود الأوابد ؟ إن للقلب أعماقاً أبعد غوراً من أعماق المحيط ، وستكتشف جميع المجاهيل قبل أن تكتشف سرائر القلوب

يجب على الكاتب أن يخلو إلى قلبه لحظات من كل يوم ، عساه يعرف بعض الملامح من سريرة القلب والروح

لا يفرح برؤية الناس والأنهار والبحار والمزارع والبساتين إلا من يعجز عن رؤية هذه الخلائق فوق ساحة القلب

فمتى نكون من أرباب القلوب ؟

متى ؟ ثم متى ؟

إن انتظارنا سيطول !

زكى مبارك

من أيام الفتوح

من مؤتة إلى اليرموك

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

فى العام الثالث بعد الستمائة من الميلاد ، وذلكم قبل بعثة الرسول بست سنين، اشتعلت الحرب بين الروم والفرس . وهى حلقة من سلسلة طويلة من الحروب بدئت منذ ظهر الرومان فى غرب آسيا ، واستمرت بين الرومان والأشكانيين ، ثم ورثها الساسانيون والبيزنطيون حتى شغلت من التاريخ سبعة قرون بين الاشتعال والخمود . وهذه الحلقات الأخيرة التى سبقت البعثة واستمرت بعد الهجرة سبع سنين قد اهتم بها العرب ونزلت فيها آية من القرآن : « غُلبت الرومُ فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيَغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » . انتصر الفرس فى عهد كسرى برويز على الروم زهاء عشرين سنة متوالية فسلبوهم كل ما ملكوا فى آسيا ، وفتحوا بيت المقدس وأخذوا الصليب الكبير ، ثم غلبوهم على مصر . وظهرت جيوش الفرس على أبواب القسطنطينية مرات . وظن الناس أن الروم لا تقوم لهم قائمة

ثم أجمع الروم أمرهم ، وقادهم هرقل من ظفر إلى ظفر خمس سنين أتت على كل ما ناله الفرس فى الحروب المتمادية . وخلع كسرى برويز بعد أن أخرجته الهزائم من دار ملكه ومات ذليلاً حزيناً ، وخلفه ابنه قباد الثانى فصالح هرقل على أن يرد على الروم كل ما سلبوه فى آسيا ومصر وأن يرد الصليب المقدس . وسار هرقل فى أعظم مواكبه إلى بيت المقدس ليضع الصليب موضعه فى ديسمبر سنة ٦٢٩ م . وبلغ هرقل من العزة والهيبة والصيت ما بلغ

— ٢ —

فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة بعد غزوة خيبر بشهرين وجه رسول الله ، ثلاثة آلاف من أصحابه إلى الشام ، وجعل القيادة لزيد بن حارثة ، فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة . وكان هذا إيذاناً ببعد الشقة ، وجسامة المطلب ، وعظيم الخطر

لماذا سيّر الرسول صلوات الله عليه جيشاً لحرب الروم فى أرض بعيدة ؟ يقول المؤرخون أن الغسانيين قتلوا رسوله إلى أمير بصرى ؛ ولكن أحسب الأمر أوسع من هذا فقد أراد المسلمون أن يرهبوا الطامعين فيهم ويعرفوا موقف القبائل العربية الضاربة فى سلطان الروم من المسلمين : أحرب هم أم سلم .

سار المسلمون إلى مَعان فإذا هرقل الذى حالفه الظفر خمس سنين حتى رد إلى سلطان الروم ما أخذه الفرس وزلزل سلطان كسرى فى ديار كسرى — قد جمع فى مآب جموعاً حاشدة من الروم والعرب — وتشاور المسلمون وهمّوا بأن يكتبوا إلى الرسول ولكن ابن رواحة قال : « يا قوم والله إن الذى تكرهون للذى خرجتم له ؛ خرجتم تطلبون الشهادة ؛ وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة . ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنَيين : إما ظهور وإما شهادة » .

التقى الجمعان عند مؤتة وهى قرية فى البلقاء التى تسمى اليوم شرقى الأردن ، إلى الشرق من الطرف الجنوبى للبحر الميت . واستعرت الحرب وقاتل زيد بالراية حتى قتل ، وتقدم جعفر للشهادة فقاتل حتى نالها . وتلاه ابن رواحة فقتل . فاجتمع الناس على القائد المحنّك المظفر خالد بن الوليد فقاتل كما يقاتل خالد حتى تراجع بالجيش الصغير فأنقذه من الجموع المطبقة عليه فِعْلَ القائد الحازم لا يهلك جيشه فى معركة خاسرة .

ثم شغل المسلمون بفتح مكة وما تلاه من الأحداث . وبعد سنة من موقعة مؤتة دعا الرسول إلى غزو الروم « فى زمن عسرة من الحر ، وجدب من البلاد » زمن تدعو فيه إلى الحرب إلى ضرورة لا مناص منها . وعلم الناس أنهم يدعون لغزو الروم ، غزو بنى الأصفر وهم يعلمون من سلطانهم وقوتهم وانتصارهم على الفرس ما يملؤهم هيبة . حتى قال بعض المنافقين : « أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ؛ والله لكأنى بكم غداً مقرنين فى الحبال»

سار الجيش إلى تبوك ، وكانت على حدود البلاد الخاضعة لسلطان الروم فى الشمال ؛ فأقام بضع عشرة ليلة وصالح الرسول صلوات الله عليه أهل دومة الجندل وأيلى وجربار وأذرُح . ورجع المسلمون وقد صالحوا من صالحوا وأرهبوا القبائل الضاربة فى الشمال ، وأعلموا الروم أنهم غير عاجزين عن الجمع والسير للقتال . وكانت غزوة ذات أثر فى تمكين هيبة المسلمين فى القبائل الشمالية ، ومحو ما أصاب المجاهدين فى مؤتة ، والتمهيد لإقامة سلطان الإسلام فى تلك الأرجاء

— ٤ —

ثم أعد الرسول جيشاً للسير إلى البلقاء حيث تراجع المسلمون فى غزوة مؤتة وجعل عليه أسامة بن زيد أول قائد للمسلمين

أيها المرضى (*)

للأستاذ راشد رستم

[إذا كان المريض يخاف المرض
فإن الصحيح منه أخوف]
« الكاتب »

شفاكم الله وعافاكم

إنكم اليوم مرضى وقد كنتم أصحاء، فلا تجزعوا بل اعملوا على أن تعودوا أصحاء

إن الأصل في الحياة الصحة والعافية، أما المرض فهو حال تصيب الناس لحكمة من السماء — تصقلهم به وتهيؤهم ثم تنبههم أن يكونوا دائماً أصحاء

* * *

لا تنظروا إلى الأصحاء، بل انظروا إلى المرضى من إخوانكم؛ بل انظروا إلى أنفسكم

قد يصير الصحيح مريضاً والمريض صحيحاً، إذ لا صحيح دائماً ولا مريض دائماً

إن الأصحاء لم يكونوا دائماً « هم » الأصحاء، فهونوا على أنفسكم، ولا تضعفوها جنب ضعف أجسامكم، إذ هي التي تشفيكم وهي التي تنجيكم، وهي التي تعيد لكم صحتكم الأولى

إن المرض ضعف فلا تزيدوا الضعيف ضعفاً

إن ضعف النفوس أخطر من ضعف الأجسام

وإذا تهيأ للمرء أن تكون له نفس صحيحة قوية فلا يضعفها بأن يخضعها لحكم هذا الجسم المريض الضعيف المضطرب

تلك القوى الكامنة في النفوس إن هي إلا مدد سحري من تيار الروح العلوي ترفع عن الضعيف ضعفه، وتقوم له بما يعجز عنه دواؤه وأطباؤه

* * *

وإذا كان المرض قيداً كما يراه المريض، فإن للأصحاء هموما وقيوداً،

وإذا أفلت الزمن من يد المريض فلا يظنن أن الصحيح عليه قادر

إن الزمان يقبض ولا يقبض عليه، فلا الصحيح قوي على الزمن ولا المريض ضعيف على الزمن

لا تطلبوا الشفاء إلا من الله، ثم من أنفسكم التي يجب أن تكون مع الله

أما الزائرون فلا تعتبوا

مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل أين الفتى الألمعي

لعل له عذراً وأنت تلوم. ومن الناس من لا يحب أن يجد صديقه هزيلاً، فكيف به يرضى أن يراه عليلاً!

* * *

تحولوا عن هؤلاء وعن هؤلاء، واتجهوا دائماً إلى أصدقائنا الأطباء

إن الطبيب هو الصديق الطبيعي للمريض

وإذا لم يستطع الطبيب أن يكون صديقاً للمريض فلماذا أراد أن يكون طبيباً!

ليس يكفي أن يكون الطبيب عدواً للمرض حتى يعتبر صديقاً للمريض!

(*) للكاتب مقال « إلى الأصحاء » في الرسالة عدد ٤٩٠٦

في تلك الغزوة وتوفي الرسول واشتعلت الفتنة في الجزيرة وسأل الناس أبا بكر أن يبقى الجيش ليقي المدينة غارات القبائل المرتدة ولكن خليفة رسول الله أصر الإصرار كله على أن ينفذ الجيش الذي أمده رسول الله. فسار الجيش إلى حيث أمر الرسول فغنم وسلم. وذلك في السنة الحادية عشرة. وهو تدبير عظيم لم يلقه الروم ومن والاهم من العرب بكفاية من الاهتمام والتفكير

— ٥ —

وبعدسنة وأشهر من رجوع جيش أسامة — وذلك أوائل السنة الثالثة عشرة عزم المسلمون على فتح الشام وسير أبو بكر جيوشاً أربعة لهذا الفتح. وتتابعت الوقائع إلى الموقعة الحاطمة موقعة اليرموك التي جعلت هرقل يودع الشام وداعاً لا لقاء بعده. وقد أدار هذه الموقعة الفاصلة خالد بن الوليد، القائد الذي شهد مؤتة وانحاز بجيشه فخلصه من براثن الموت. ولولا ضيق المجال لفصلت القول وسردت الحوادث مبيناً عن الصلات الجامعة، والقرابة الواشجة، بين هذه الأحداث. تلك صور متفرقة في كتب التاريخ، شتيتة في رأي مطالعيه؛ ولكنها في الحق أوجه حقيقة واحدة، أو أمواج من بحر واحد، أو فصول متتابعة من كتاب: أوجه من هذا اليقين الذي ملأ قلوب العرب المسلمين، وأمواج من هذا الجهاد الذي اعتزمه العرب المسلمون، وفصول من هذا المجد الذي سطره العرب المسلمون قصة أولها خالد ينحاش بجيشه ليقيه غائلة الروم، وآخرها خالد يقدم بجيشه ليمحو سلطان الروم، ويمد سلطان المسلمين على الشام وما وراء الشام؛ وفي ثناياها حقائق من الأخلاق والسنن والتاريخ هي التي تجلت سريعاً فجمعت في سلطان العرب المشرق والمغرب وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب.

عبد الوهاب عزام

الحكم الذاتى فى المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٣ —

ولنتكلم الآن عن مجالات scopes الحكم الذاتى

فنحن يمكننا أن نعتبر البيت فى المدرسة الداخلية أحسن مجال يمكن أن يصطنع فيه الحكم الذاتى . فالبيت من جهة أضيق من أن يعجز بعض أفراده عن تدبير أمره تدبيراً محكما ، والحياة فيه تقدم أكبر قدر من وجوه النشاط المختلفة التى يمكن للتلاميذ أن يتخذوا منها ميداناً لتدبيرهم وتنظيمهم

وهناك مجال آخر من مجالات الحكم الذاتى هو الفصل المدرسى class or form . والمآخذ على هذا المجال تتلخص فى أن الأغراض التى يرمى الفصل إلى تحقيقها أولا وقبل كل شىء تخرج من مجال الحكم الذاتى كثيراً من نواحى حياة الأطفال الاجتماعية التى هى ألصق بهم ؛ وفى أن انتقالات التلاميذ كل سنة من فرقة إلى فرقة أعلى يصحبها فى كثير من الأحوال تغيير مستمر فى أعضاء الحكم الذاتى

وهناك مجال ثالث للحكم الذاتى هو تلك الجمعيات التى يؤلفها التلاميذ قاصدين بها إلى ممارسة وجوه من النشاط تضيق عنها جدران المدرسة كالجمعيات الأدبية والجمعيات التمثيلية وجمعيات فلاحة البساتين وجمعيات التصوير وغيرها

وأخيراً يمكن أن نجعل من المدرسة كلها مجالاً للحكم الذاتى . ولكن هذا لا يمكن أن يتأتى بسهولة إلا إذا كان تلاميذ المدرسة لا يزيدون عن أربعين طفلاً أو خمسين

فهذه هى المجالات التى يمكن أن يتخذ منها الحكم الذاتى مسرحاً يمثل عليه دوره . على أننا لا نحب أن نترك هذه المسألة قبل أن نتناول الحكم الذاتى فى الفصل بشىء من التفصيل .

فنحن نريد أن نقول إنه ليس من الضرورى فى كل الأحوال أن يمتد الحكم الذاتى إلى نطاق الفصل . وبيان ذلك أنه إذا كان ثم عداء متوارث بين التلاميذ من جهة والمدرس والمدرسين من جهة أخرى ، وإذا كانت حياة التلاميذ خارج المدرسة حياة يتناولها العسف والضغط ، فإن الحاجة تكون حينئذ ماسة إلى

يتقدم المريض إلى الطبيب وهو يود أن يكون له كل ما يريد تلك ظاهرة من ظواهر المرض لا تخفى على أحد

غير أنها قد تفوت على من لا يجب أن تفوت عليه ، نعم تفوت على الطبيب ، تمر عليه دون أن يقيم لها وزناً — هنالك يختل ميزان الإنسانية ، لأنه بيد الطبيب ، ولا يعود المريض ، ولا غير المريض ، يرى فى الطبيب ذلك الهيكل القدسى الذى يقصد إليه ليلقى بالروح والجسد بين يديه ...

ولكن المريض كالغريق ، يتعلق بكل ما يرى وما يجد — إذن فيا رحمة الله اهبطى على قلب الطبيب ! ويا سكينته انزلى على قلب المريض ، ويا لله ألطف بهذا الإنسان ، وهذا الإنسان ...

***

وهكذا لن يستطيع المريض أن يفر من رحمة الله ، فقد وسعت رحمته كل شىء ، وإلى أى النواحى اتجه ، وإلى أى المؤاسين قصد ، ففى رحمة الرحمن البرء والرضا والأمان

وإن لله لحكمة بين الناس فى دنيا الأمراض ، إذ يولد ابن آدم وليس عليه غير الصحة والعافية ، حتى إذا استلمها أخذ يخضعهما لأغراض فى الحياة مدى الحياة ، ثم يذهب وقد ذهبت عنه الصحة والعافية وأغراض الحياة ...

وإن فى المرض لآية يدرك بها المرء معنى الصحة ، وإنها هى الحياة ، وإنها من الله ، وأنه لا شىء سواها ، ولا أحد سواه

خذ نفسك أيها المريض بيقين الشفاء ، وجسمك بصحيح العلاج ، ثم اصبر فإن الله كما قضى لك بما تحب منه ، يقضى عليك أن تصبر له على ما يحب فيك ...

وكن عبده وألق القياد لحكمه

***

وهو الله يمتحن الطبيب بالمريض ، ليس ليعلم قدر علمه ، إذ فوق كل ذى علم عليم ، وإنما ليسأله الواجب الذى ارتضاه لنفسه ، والمهمة التى أقسم عليها ، أليس هو الذى اختار المهنة التى يعمل لها ؟

إلى الأطباء إذن أيها المرضى . لا تسألوهم الشفاء ، وإنما اسألوهم وسيلتهم إلى الشفاء — أن يكونوا لكم أصدقاء ، بل ونعم الأصدقاء

إن الطب تخمين ، والإنسانية يقين ، و « الحكيم » البصير يسير بينهما وهو آمن وأمين . إذ شتان بين طالب الله وطالب من الله ...

إن الرحمة لم ترفع بعد من الأرض إلى السماء ، أيها المرضى وأيها الأصحاء ...

فمن كان له قلب فله الرضا من كل شىء ...

(بحيرة قارون) راشد رستم

قدر من الحكم الذاتى يتناول الفصل . أما إذا كانت العلاقة بين التلاميذ والمدرسين علاقة تسودها المودة والصفاء ، وكان التلاميذ من جانبهم يميلون إلى التعلم ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الحرية خارج المدرسة ، فمن المشكوك فيه حينئذ أن يكون الحكم الذاتى شيئاً ضرورياً مرغوباً فيه

كذلك لا نحب أن نترك هذه المسألة قبل أن ننبه إلى أن وجوه النشاط فى داخل المدرسة مرتبطة أشد الارتباط بوجوه النشاط فى خارجها وأن الحكم الذاتى فى خارج الفصل لا يمكن لهذا السبب أن يتم له النجاح إذا كانت الأمور فى الفصل تجرى على قواعد بالية عتيقة

وليس للحكم الذاتى نظام خاص صالح لكل الأحوال ، وإنما هو يتكيف بحسب الحالة التى يوجد فيها ، فالسنّ ، والجنس وتقاليد المدرسة ، وشخصية المدرسين ، وطبيعة البيئة التى يأتى منها التلاميذ ، والمثل الاجتماعية التى يُرمى إلى تحقيقها — كل هذه يجب أن تترك فى الحكم الذاتى أثرها وتكيفه وفقها .

وأنا أعتقد أن قيمة الحكم الذاتى تزيد وأن مجاله يتسع إذا أمكن أن نبثّ فيه روحاً اقتصادية . وذلك يكون بإعطاء التلاميذ فى كل أسبوع قدراً معيناً من المال يستطيعون به أن يدبّروا الأمور المالية المختلفة التى كان يقوم بها من قبل مدبّرو شئون المدرسة . فيستطيعون مثلاً أن يشتروا ما هم فى حاجة إليه من الأقلام وأقلام الرصاص ، وأن يشتروا الجرائد اللازمة للمكتبة ، وأن يشتروا جميع الأدوات اللازمة للألعاب games سواء أكانت داخل المدرسة أو خارجها ، وأن يشتروا حاكياً أو مذياعاً ، وأن يؤثثوا غرفة هادئة للمطالعة ، وأن يقوموا بالرحلات الخ . وكل هذا يستدعى بالطبع وجود مصرف فى المدرسة يودَع فيه ما يُعطاه التلاميذ من مال ، ويقوم على تدبير أمره أحد هؤلاء التلاميذ . وكل هذا يستدعى أيضاً أن تقدم اللجان المختلفة ميزانياتها ، وأن تفحص هذه الميزانيات لجنة مالية مختصة لتقرر ما تراه .

وقد يكون من بين التلاميذ الذين يصطنعون الحكم الذاتى — ومعظمهم من غير شك قد بلغ سن الشباب — بعض التلاميذ الذين لم يبلغوا هذه السن بعد . فهؤلاء التلاميذ الأحداث يمكنهم أن يشاركوا فى عملية الحكم الذاتى ، ولكن على شرط ألا يكون عددهم كبيراً جداً . وهنا يفترق نظام الحكم الذاتى عن نظام العرفاء الذى يُخضع التلاميذ الصغار لسلطة التلاميذ الكبار .

ويجب أن يعتبر الحكم الذاتى وسيلة يعاقب بها التلاميذ بعضهم بعضاً . وعلى ذلك فيجب ألا يكون العقاب إلا حين يكون من ورائه صوْن لقوانين الحكم الذاتى من أن تُنقض ، تلك القوانين التى شرّعها التلاميذ أنفسهم وقصدوا بها إلى ما فيه الخير لهم جميعاً . على أن هذا العقاب يجب أن يكون خالصاً من الغلّ مبرءاً من الضغينة . فالقوة إذن سناد لقانون الحكم الذاتى فى مجتمع التلاميذ كما أنها سناد القانون فى المجتمع الكبير . ولكن كلما قوى شعور التلاميذ بما فيه مصلحتهم العامة فإن الحاجة إلى العقاب تقل .

وهنا يأتى الكلام عن مسألة من أهم مسائل الحكم الذاتى : فيجب ألا يتطرق إلى الأذهان أن نظام الحكم الذاتى يرفع عن عاتق ناظر المدرسة ومدرّسيها مسئولية التأديب ، فهو على العكس من ذلك تزيد من مدى هذه المسئولية ؛ وذلك لأن عملية الضبط لا ترمى حينئذ إلى حفظ النظام order فقط بل إلى غاية تربويّة كذلك . ومعنى هذا أن عملية الضبط فى هذا النظام لا تقصد مباشرة إلى مجرد حفظ النظام ، وإنما هى تقصد عن طريق غير مباشر لا إلى منع النظام من أن يتطرّق إليه العبث ويخترمه الخلل . وإنما تصطنع عمليةُ الضبط هذا الطريقَ غير المباشر لتكفل للغاية التربوية التى يرمى إليها الحكم الذاتى أن تتحقّق ، وما هذه الغاية التربويّة إلا إفساح المجال لشخصيّات التلاميذ حتى تنمو وتترعرع .

ولكن هذا النوع من الحرية لا يرضى به دعاة التحرير Emancipationists . فهم يقولون إنه ليس إلا مسخاً للحرية ؛ ذلك لأنه يفرض على التلاميذ ما يريده المدرس ، فإذا أراد هؤلاء أن ينطلقوا مع سجيتهم فيما يفعلون فإنهم سرعان ما يعوّقون . وإنما ينادى دعاة التحرير بحرية خالصة من القيود ينطلق معها التلاميذ أينما يريدون فيقعون فيما يقعون فيه من أخطاء ويعالجون هذه الأخطاء كما يحبون

على أن الأستاذ جون آدمز لا يرتضى مذهب هؤلاء . فهو ينادى بأن تكون للمدرس السلطة العليا ، تلك السلطة التى تحفظ على جماعة التلاميذ صالحها العام الذى قد تودى به الحرية المتطرفة . أضف إلى ذلك أن الحياة الواقعيـة حياة مفعمة بالقيود : القيود العامة التى تغلنا بها الحياة فى المجتمع ، والقيود الخاصة التى يغلنا بها من نخضع له أو من نخضع لهم . فإذا كان التلاميذ لن يواجهوا فى المستقبل حياة خالصة من القيود ، فأحر بهم أن يعوّدوا منذ الصغر الخضوع لسلطة مرب أو مربية بقصد كل منهما إلى تهيئة ظروف المدرسة بحيث تكفل لسلوك التلاميذ وشخصيتهم الترعرع والنماء

ويرى الأستاذ أسبورن Osborne أن تقسم السلطة مناصفة بين الناظر والمدرسين من جهة والتلاميذ من جهة أخرى . وهو يعتقد أن هذا التقسيم لا يضير نظام الحكم الذاتى فى شىء . فالناظر مثلاً يمكنه أن يفرض على التلاميـذ مزاولة الألعاب الرياضية فى أيام معينة من الأسبوع ، ثم يترك لهم توزيع ضروب هذه الألعاب على هذه الأيام ، فيجعلون هذا اليوم للكريكيت cricket وذاك للكشف وهلم جرا . على أنه لا يمكن فصل هاتين السلطتين فصلاً تاماً ، فيجب على الناظر والمدرسين أن يصغوا إلى ما يوجهه لهم التلاميذ من نقد ، وإن كانوا يملكون حق إهمال هذا النقد

وقد عرض الأستاذ جردن ماكاى A. L. Gordon Mackay لهـذه المسألة ، فقال إنه لا يمكن أن يتحقق نظام الحكم الذاتى من غير وجود المربى . ولكى يبيّن صحة ذلك انتقل إلى وظيفة المربى ، فقال إنها تتلخص فى العمل على نشر القدرة Ability المنطوية ، ثم العمل على تنمية قدرة تلاميذه جماعة وأفراداً . فالمربى أولاً مرشد وفيلسوف وصديق ، وهو إلى ذلك ناصح أمين فى كل ما يتعلق بالدروس والاجتماعات وسائر وجوه النشاط فى الفصل .

على أنه يجب أن يتصف بصفات معينة تعينه على أن يكون كذلك ، وهذه الصفات ليست إلا صدى للعلاقة التى تربطه بالتلاميذ . فهو يجب أن يثق بأنه قادر على معاونة تلاميذه على نشر مواهبهم الكامنة ، وهو يجب أن يعتقد أن نفوس تلاميذه تنطوى على حكمة كثيرة مخبأة ، أو على صفات أخرى تستحق أن يكد فى سبيل إماطة اللثام عنها ، وهو يجب أن يكون ذا عقل واسع الثقافة ، وشخصية منسجمة الأطراف متوافقة الأنغام ، وقدرة على التنفيذ ، وهو يجب أن يجمع إلى هذه الخصال كلها حباً للأطفال يلهبه الحماس ، ولكن الحماس الذى يخفف من حدته الحذر ويبعد غوره التبصر

ويزيد الأستاذ ماكاى على ذلك ، فيقول إن المربى يجب أن يشعر تلاميذه بأن نجاحهم ونجاحهم فقط هو الهدف الأسمى للمربى ، وأنه ما وجد إلا للوصول إلى هـذا الهدف . وعلى ذلك يجب أن يحملهم باستمرار على أن يهدفوا نحو شكل من أشكال الكمال هو فى الحقيقة أبعد من أن يتناوله ذرعهم ، وأن يشعرهم بأنهم إن فشلوا فى الوصول إلى هذا الكمال فلسوف يستطيعون فيما بعد أن يحاولوا محاولات أخرى تحدوها خبرة أوسع

والمربى كذلك يجب أن يوفق بين نواحى الضعف فى المربى ونواحى القوة ، فيعطى من هذه لتلك ليصل بالمربى فى آخر الأمر إلى حال من التوازن قائمة على تعاون ملكاته وتواصلها

وصفوة القول أن نظام الحكم الذاتى يتطلب وجود المربى ليلعب فيه دوره الهام .

(للحديث بقية أخيرة) السيد يعقوب بكر

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٣ —

أمها :

بينما الفاروق فى المسجد الجامع وحوله شيوخ المهاجرين والأنصار ، إذا بشيخ مهيب يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدى الفاروق وحياه بتحية الخلافة ، فردها عليه الخليفة وقال له : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى . فعرفه عمر ؛ وكيف لا يعرف صاحب بكر الذى أغار عليهم فى يوم فلج فى الجاهلية ؟! فقال له عمر : ماذا تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه فقبله . ودعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من « قضاعة » وهذا أول رجل عقد له على المسلمين بالشام ولم يصل ركعة واحدة ؛ ذلك لما له من المنزلة السامية بين قومه . وأراد على بن أبى طالب أن يزيد فى شرف هذا الشيخ فنهض إليه وأخذ بثيابه وقال له : يا عم ، أنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وصهره ، وهذان ابناى من ابنته ، وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا . سر الشيخ من هذه الساعة الميمونة التى نال فيها ما لم يكن يتوقعه : اهتدى بنور الإسلام ، وتولى إمرة قضاعة بالشام ، وهذا ابن عم الرسول وزوج ابنته يريد أن يشرفه بمصاهرته . فالتفت إلى على بن أبى طالب والفرح قد ملأ قلبه والبشر طافح فى وجهه وقال له : « وقد أنكحتك يا على المحياة بنت امرئ القيس . وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس . وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس » وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن امتازت بفصاحة لسانها ورجاحة عقلها فكان الحسين يحبها حباً جماً لما رآه من كمالها وعقلها . ولامه أخوه الحسن على هذا فقال :

لعمرك إننى لأحب داراً   تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى   وليس لعاتب عندى عتاب
فلست لهم وإن غابوا مضيعاً   حياتى أو يغيبنى التراب

كانت الرباب مع زوجها مثالاً للمرأة المسلمة الصالحة شاركته أفراحه وأتراحه ورافقته حتى فى ساحة جهاده وشهدت بعينها مصرعه ورثته بقولها :

إن الذى كان نوراً يستضاء به   بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحة   عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به   وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ؟ ومن للسائلين ؟ ومن   يغنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا ابتغى صهراً بصهركم   حتى أغيب بين الرمل والطين

وقد برت الرباب بقسمها فكم تقدم إليها من شريف وأمير وخطبها بعد مصرع زوجها ، وكان جوابها لكل خاطب : « ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقضت الرباب حياتها حانية على ولديها عبد الله وسكينة .

نشأتها وزواجها :

تولت الرباب تربية ابنتها سكينة بنفسها فأرضعتها الفصاحة والبلاغة منذ صغرها وأطلعتها على أشعار العرب وأخبارهم . وكثيراً ما كانت ترسلها إلى حلقات العلماء ومجالس رواة الحديث فتأخذ عنهم . كما كانت تقص عليها مآثر آبائها وأجدادها ، فتذكرها بجدها الأعظم منقذ العالم من الشرك وهاديه إلى طريق الحق . وتسرد عليها أخبار جدها فتى الفتيان « حيدر » ما كان عليه من البطولة والعلم والفقه فى الدين . وكانت الفتاة ذكية الفؤاد تصغى إلى هذه الأحاديث بكل شوق وتفخر بمآثر أجدادها التى دونها كل فخر ، فاهتدت بنورهم وتسنمت ذروة المجد الشامخ

ولما بلغت سن الزواج زوجها أبوها من ابن عمها عبد الله ابن الحسن . وبعد وفاته تقدم إليها شبان قريش يطلبون يدها فلم يوفق سوى أحد الأبطال الذين يضرب بهم المثل فى الشجاعة والمروءة والكرم — ذلك هو مصعب بن الزبير — أمهرها مليون درهم وأهدى لأخيها أربعين ألف دينار . وزفت إليه وهى كالنار الموقدة حسناً وجمالاً ، وكان الخليفة عبد الملك ينفس على مصعب هذا الزواج ، وقد صرح بذلك لجلسائه فقال : « أشجع الناس مصعب بن الزبير الذى جمع فى بيته بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين »

كان مصعب يحبها حباً جماً ويؤثرها على غيرها لعقلها وأدبها وحسبها وقضى معها أسعد أيام حياته ، ولكن كل هناء يعقبه عزاء ، فلم تطل أيامه معها حتى لقى حتفه . دخل عليها يوم قتله فنزع ثيابه ولبس غلالة وتوشح بثوب وأخذ سيفه لينزل ساحة

الوغى . علمت سكينة أنها الساعة الأخيرة وأنها ستفارقه فراق الأبد فلم تمالك نفسها وصاحت : « واحزناه عليك يا مصعب » وما هي إلا ساعات معدودة حتى أتاها خبر استشهاده . فخرجت إلى ساحة الوغى لتنظر البطل المجندل فطلبته بين القتلى وعرفته بشامة كانت في خده فوقفت عليه وقالت : « يرحمك الله ، نعم بعل المرأة المسلمة كنت » أدركت والله ما قال عنتر :

وخليل غانية تركت مجندلاً ... بالقاع لم يعهد ولم يتلثم
فهتكت بالرمح الطويل أهابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

وقفت سكينة طويلاً أمام هذا البطل المضرج بدمائه . وتذكرت أيام نكبتها بشهيد كربلاء ، ومر أمامها المناظر المحزنة والمصائب التي توالت على آل البيت . وها هي تفجع اليوم بزوجها كما فجعت بأهلها من قبل ففاض الدمع من عينها والشعر من قلبها وقالت ترثيه :

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذي ... يرى القتل إلا ما عليه حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية ... إلى القوم حتى أوردوه حماما

ثم احتسبت واسترجعت ، وأمرت بدفن زوجها ثم عادت إلى الكوفة لتلم شعثها وتلحق بأهلها . ولما أرادت السفر تجمع إليها أهل الكوفة ليسلموا عليها ، كأنهم لم يسلموا زوجها قبل أيام ولم يسلموا أباها وأخاها قبله ، وكأنهم لم يخذلوا جدها . ولكن سكينة من نعرف دهاءها وعقلها فهي أجل من أن تنخدع بظاهر القول . وقد صرحت لهم بما يكنه صدرها من البغض فقالت لهم : « لا جزاكم الله عني خيراً ، ولا أخلف عليكم بخير ، يعلم الله إني أبغضكم ، قتلتم جدي علياً ، وقتلتم أبي الحسين ، وأخي علياً ، وزوجي مصعباً . فبأي وجه تلقونني ، أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة .

أراد عبد الملك أن يغتنم فرصة قتل زوجها ، وكانت كل منيته أن يتزوجها ليحظى بالجمال والعقل والشرف ، ولكن هيهات أن يجد حبه إلى قلبها سبيلاً . ولما عرض عليها أمر خطبتها قالت : « والله لا يتزوجني قاتله أبداً » . خطبها الأصبغ بن عبد العزيز والي مصر . فكتبت إليه أن أرض مصر وخمة . فبنى لها « مدينة الأصبغ » ولكن هذا الأمر لم يرق في عين عبد الملك فحسده وكتب إليه : أن أختر ولاية مصر أو سكينة . فكف عن زواجها . خطبها بعد ذلك زيد بن عثمان بن عفان فشرطت عليه : ألا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يخالفها في أمر تريده ، وأن يكون أمر خروجها بيدها . فرضي وسلم أموره بيدها كما أرادت . ولكن صاحبنا هذا كان بخيلاً فلم يطق صبراً على ما تفيضه سكينة على الشعراء والفقهاء وحلقات الأدب وما كانت تنفقه في قصرها وغدواتها ومنتزهاتها . فغلب بخله على هواه وتخلى عنها .

آثرت سكينة بعد هذا أن تعيش منفردة مع جواريها بمكان ناء عن المدينة وضوضائها تتمتع بهدوء الطبيعة وجمالها الفاتن فلم تجد مكاناً أجمل من وادي العقيق الفتان . فباعت مالها بالزوراء وعمرت لها قصراً فخماً بهذا الوادي الجميل . وكلما فاض الوادي كانت تخرج إلى محل السيل يحف بها جواريها . وفي أحد الأيام جلست على حافة الوادي تمتع نظرها بما يحف بها من الأزهار والحشائش وأشجار الأثيل ، وكانت السماء صافية والنسيم عليلاً والناس منتشرون حول الوادي يمتعون أنفسهم بهذا الجمال الفتان . أعجبها هذا المنظر البهيج فالتفتت إلى جواريها وقالت : « والله لهذه الساعة في هذا القصر خير من الزوراء » .

(يتبع)

سعيد الديوه جي
بالموصل

حكم في الجنحة رقم ١١١ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٣ بتسليم سيد محمود على صالح لوالده وغلق محله ثمانية أيام والمصادرة والنشر والتعليق لبيعه أدره عوجه باكثر من السعر المحدد

رســـالة الجاحظ

في مناقب الترك وعامة جند الخلافة

للأستاذ محمود عزت عرفه

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

مات الخليفة الواثق عام ٢٣٢ هـ وتولى بعده أخوه جعفر المتوكل على الله ؛ وكان النزاع الذي طال أمده قد أحدث رد فعل في نفوس المصلحين ومحبي السلام ، فبذلت جهود جبارة للتوفيق بين المتنازعين ، وإزالة روح الحسد والتنافس التي طغت على العلاقة بين طوائف الجند ، ووشجت بنفوس الرؤساء من كل فريق . وكان على رأس هؤلاء المخلصين الداعين إلى الإصلاح نديم المتوكل وصاحبه الأثير : الفتح بن خاقان[1] الذي تقدم إليه الجاحظ برسالته في مفاخر الترك بعد أن أضاف إليها مقدمة قصيرة ملائمة . ولا شك أنه في هذه الفترة أيضاً زاد من عنوانها فجعله « في مناقب الترك وعامة جند الخلافة » . . . إذ الرسالة الأصيلة - بعد حذف المقدمة التي توجه بالخطاب فيها إلى الفتح - مقصورة على ذكر مفاخر الأتراك والإشادة بفضلهم على سائر الأجناس ، في حربهم وسياستهم وصناعهم وأخلاقهم ، وكل ما يكون موضع فخر ومحل تمايز وتفاضل

والفتح من الترك ، فما يضيره أن يطنب الجاحظ في فضائل بني جنسه ؛ ثم هو من دعاة الألفة والإصلاح فلا يضير الجاحظ أن يوطىء لرسالته بحديث في مزايا هذه الألفة يضمنه من فضائل تلك الطوائف جميعاً ما يجعل كلامه أقوى في التأثير وأدعى إلى القبول

بذلك خرجت الرسالة في قسمين : مقدمة في فضل التآلف وضرورة اتفاق الكلمة مع حديث في مزايا كل طائفة من طوائف الأجناد سوى الترك ؛ ثم فصل طويل في مناقب الترك خاصة ، وهو الرسالة القديمة بعينها . . .

أما المقدمة المستحدثة فيبدأ الجاحظ فيها بالإشارة إلى ما يضطلع به الفتح بن خاقان من الدفاع عن الخلافة والترغيب في الالتفاف حولها ، والسعي إلى توطيد التآلف بين أنصارها ، وإقرار فضيلة الطاعة وبث روح الود والمناصحة فيهم ؛ ثم يقول متوجهاً بالحديث إلى الفتح :

« وذكرت أبقاك الله أنك جالست أخلاطاً من جند الخلافة ، وجماعة من أبناء الدعوة ، وشيوخاً من جلة الشيعة ، وكهولا من أبناء رجال الدولة والمنسوبين إلى الطاعة والمناصحة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة . وأن رجلا من عرض تلك الجماعة ومن حاشية تلك الجلة ارتجل الكلام ارتجال مستبد ، وتفرد به تفرد معجب . . . وزعم أن جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام : خراساني وتركي ومولى وعربي وبنوي . . . وأنك اعترضت على هذا المتكلم المستبد وعلى هذا القائل المتكلف الذي قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان » . ويورد الجاحظ عقب هذا بعض ما رد به الفتح على ذلك الخطيب الداعي إلى التفرقة ، ويقول له : « فزعمت أن أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة ، وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكانفة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والأئمة » . ثم يشير الجاحظ إلى أن هذا الخطيب ذكر في معرض كلامه جملا من مفاخر هذه الأجناس وجمهرة من مناقبهم ، وأنه أطنب في ذلك ما شاء له الإطناب ولكنه « ألقى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم ، وأضرب عنهم صفحاً فلم يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل وبرهان كل صنف . . . »

ويذكر الجاحظ - على لسان الخطيب أيضاً - مفاخر هذه الأجناس الأربعة سوى الأتراك ، فيطنب في مزايا الخراسانيين والعرب والموالي ثم الأبناء . ويتخذ من إهمال شأن الأتراك وسيلة إلى الحديث عنهم ؛ أي إلى إبراز رسالته الأولى في مناقبهم وهو يسلك إلى ذلك ألطف المسالك فيقول : « إن ذهبنا - حفظك الله - بعقب هذه الاحتجاجات ، وعند منقطع هذه الاستدلالات ، نستعمل المفاوضة بمناقب الأتراك والموازنة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف ، سلكنا في هذا الكتاب سبيل أهل الخصومات في كتبهم ، وطريق أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم . وكتابنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة ، ولنزيد في الألفة إن كانت مؤتلفة ، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم . . . »

ولا يخلص الجاحظ إلى رسالته الأولى في مناقب الترك حتى يعاود التمهيد لها والتمويه عن غرضه السابق منها فيقول : « وهم في معظم الأمر وكبر الشأن وعمود النسب متفقون ، فالأتراك

---

(١) أبو محمد الفتح بن خاقان بن أحمد وقيل ابن غرطوج ، التركي . قال ابن النديم : كان من أولاد الملوك واتخذه المتوكل أخاً وكان يقدمه على جميع أولاده . قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية . هـ

خراسانية وموالى الخلفاء قَصْرَة[١] ، فقد صار فضل التركى إلى الجميع راجعاً ، وصار شرفه إلى شرفهم زائداً »

وينتقل الجاحظ بعد هذا إلى رسالته الأصيلة ؛ وبديهى أن سطورها الأولى مما كتبه قبل تقديمها إلى الفتح بن خاقان ، لأنه يقول فيها بعد التسمية : « هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله رضي الله تعالى عنه ونضر وجهه ، فلم يصل إليه لأسباب يطول شرحها ... »

ولا نستطيع بحالٍ ما أن نحدد مدى التحوير الذى أدخله فى هذا الموضع ، ولكننا نقول إنه تحوير ألجأته إليه الضرورة ، إذ لا أقل من أن يتوجه بالخطاب من المعتصم المتوفى إلى الفتح الذى تحولت إليه الرسالة

ويبدأ الجاحظ حديثه عن مناقب الترك بسرد قصة فحواها أن حميد بن عبد الحميد[٢] كان جالساً — مع جماعة أسماهم — فى دار المأمون إذ خرج عليهم رسول من عنده فقال : يقول لكم أمير المؤمنين متفرقين ومجتمعين ، ليكتب كل رجل منكم دعواه وحجته ، وليقل أيما أحب إلى كل قائد منكم — إذا كان فى عدته وصحبه وثقاته — أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجى ؟ ... فأجمع القوم على أن لقاء الترك أهون من لقاء الشراة ؛ إلا حميداً فإنه خالف هذا الرأى وبالغ فى التهويل من شأن الترك والإشادة ببطولتهم فى حربهم . وعقد من الموازنة بينهم وبين الخوارج ما انتهى به إلى تصويب رأيه وتثبيت حجته

وبلغ الحديث المأمون فقال : ليس بالترك حاجة إلى حكم حاكم بعد حميد ! فإن حميداً قد مارس الفريقين ، وحميد خراسانى وحميد عربى ، فليس للتهمة عليه طريق ...

ويمضى الجاحظ إلى غايته من إعلاء شأن الأتراك فيذكر من عجائبهم فى حربهم ومن طرائف أقوال الرواة والمحدثين عنهم كل ما تطرب له النفس ويطول به العجب ؛ وهو لا يستشهد فى كلامه إلا بأقوال رجال من ثقات العرب والخراسانيين — سوى الترك — حتى يكون ذلك أبعد عن التهمة وأقوم بالحجة ، وأدعى إلى الاقتناع . فيحكى عن سعيد بن عقبة بن سلم الهنائى ، ويختم ما ينقله عنه بقوله : « فهذا قول سعيد بن عقبة

(١) فى القاموس المحيط : هو ابن عمى قصرة ويضم ، ومقصورة وقصيرة أى دانى النسب . اهـ

(٢) حميد بن عبد الحميد الطوسى من أشهر قواد العباسيين ، وهو والد سليمان بن حميد الذى قتل وهو عامل على سمرقند فى عهد الرشيد ووالد محمد بن حميد الذى قتل فى حرب بابك الخرمي على عهد المأمون

ورأيه وحديثه ، وهو عربى خراسانى » . ويروى بعض ما يقصه ثمامة بن أشرس ويعقب قائلاً : « هذا ثمامة بن أشرس وهو عربى لا يتهم فى الإخبار عنهم » . ويروى أيضاً عن يزيد بن مزيد الشيبانى ما وصف به الموقعة التى قتل فيها دُولَبا التركىُّ الوليدَ ابن طريف الخارجى[١] . ويقص عن قتيبة بن مسلم طرائف أُخر . ويرى الجاحظ خلال هذا بعض ما شاهده بنفسه فيقول : « وأنا أخبرك أنى قد رأيت منهم شيئاً عجيباً وأمراً غريباً . رأيت فى بعض غزوات المأمون سماطى خيل على جنبتى الطريق بقرب المنزل : مائة فارس من الأتراك فى الجانب الأيمن ، ومائة من سائر الناس فى الجانب الأيسر ، وإذا هم قد اصطفوا ينتظرون مجىء المأمون وقد انتصف النهار واشتد الحر . فورد عليهم وجميع الأتراك جلوس على ظهور خيولهم إلا ثلاثة أو أربعة ! وجميع تلك الأخلاط من الجند قد رموا بنفوسهم إلى الأرض إلا ثلاثة أو أربعة ! فقلت لصاحب لى : أنظر أى شىء اتفق لنا ؛ أشهد أن المعتصم كان أعرف بهم حين جمعهم واصطنعهم[٢] »

ولا يفرغ الجاحظ من حديثه فى هذه الرسالة حتى يكرر النصَّ على أنه إنما وضعها بغية التأليف بين القلوب وجمع الكلمة وتوحيد المقصد والغاية ؛ وأنها ليست من كتب المناقضات أو إظهار التبحّر فى العلم والاتساع فى المعرفة ؛ لأنه لا يهدف إلى شىء من هذا ، وإنما هو يرمى إلى التوفيق من أوجز طريق ، ويرى « أن القليل الذى يجمع خير من الكثير الذى يفرق » ...

... بهذا التصرف البديع تهيأ للجاحظ أن ينشر رسالته بعد أن يئس من إخراجها أو كاد ، فازداد بها فضلاً إلى فضل ، وارتفع معها مكانة فوق مكانة ؛ وهو لم يُحرم مع ذلك أن يُعدَّ من الذائدين عن الوحدة ، الداعين إلى التآلف والوئام ، المصلحين بين هذه الطوائف المتدابرة والفرق المتنافرة ؛ وتلك أغراض لا نستطيع الجزم بأن واحداً منها كان يجول بخاطره وهو يضع رسالته الأولى على عهد المعتصم .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

(١) المشهور فى التاريخ أن قاتل الوليد بن طريف هو يزيد بن مزيد الشيباني نفسه ، وكان ذلك فى مبارزة بينهما فى وقعة الحديثة قرب الأنبار عام ١٧٩ هـ

(٥) نفهم من هذا أن أول عهد المعتصم بجنود الترك يرجع إلى أيام ولايته العهد فى حياة أخيه المأمون ، وكان إذ ذاك والياً على الشام ومصر . ومن الثابت أن الأفشين قام باعداد بعض الثورات فى مصر وبرقة بأمر من المعتصم على حياة المأمون .

لماذا لا أثق

بأقوال النحاة ولا اللغويين

للأب أنستاس ماري الكرملي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

القسم الرابع

فملول (المفعول الأول)

قال السيد مرتضى بعد مادة (ص ر ق) وقبل رسم (ص ف رق) — وهو غريب — ما يأتي ، ونحن نذكره بحذافيره على طوله لما فيه من الفائدة الجزيلة :

« الصمفوق ، بالفتح : اللئيم من الرجال . قاله الليث . وصمفوق : بلدة باليمامة ، فيها قناة يجرى منها نهر كبير ، لهم فيها وقعة ، ويقال : صمفوقة بالهاء ، وليس في الكلام فملول سواه . قال الحسين بن إبراهيم النطيرى فى كتابه دستور اللغة : فملول في لسان العرب مضموم ، إلا حرفا واحداً ، وهو صمفوق ، لموضع فى اليمامة .

وأما خرنوب بالفتح ، فضعيف . قال الصاغانى : وأما الفصيح فيضم خاؤه ، أو يشد راؤه مع حذف النون ، كما فى العباب . وقال شيخنا : لا يفتح خرنوب ، إلا إذا كان مضعفاً ، وحذفت منه النون ، فقيل خروب ، أما ما دامت فيه النون ، فإنه غير مسموع . قال : وأما برغوث الذى حكى فيه الخليل التثليث فى الكتاب الذى ألفه فيه ، فلا يثبت ، ولا يلتفت إليه . وأما عصفور الذى حكى فيه الشيخ الشهاب القسطلانى عن ابن رشيق ، فهو أيضاً غير ثابت ، ولا موافق عليه . والله أعلم . اﻫ .

« قلت (أى الشارح) : وقال ابن برى : رأيت بخط أبى سهل الهروى على حاشية كتاب : جاء على فَملول : صمفوق وصعقول ، لضرب من الكمأة ، وبعكوكة الوادى ، لجانبه . قال ابن برى : أما بعكوكة الوادى ، وبعكوكة الشسر ، فذكرهما السيرافى وغيره بالضم لا غير ، أعنى بضم الباء . وأما الصعقول ، لضرب من الكمأة فليس بمعروف ، ولو كان معروفا لذكره أبو حنيفة فى كتاب النبات ، وأظنه نبطياً أو أعجميا » . اﻫ

« قلت (أى الشارح) : ولا يلزم من عدم ذكر أبى حنيفة إياه فى كتابه أن لا يكون من كلام العرب ، فان من حفظ حجة على من لم يحفظ . فتأمل ذلك . والصمافقة جمع صمعوق : خول لبنى مروان ، أنزلهم اليمامة . ومروان بن أبى حفصة منهم ، قاله الليث . قال : ولم يجىء فى الكلام فعلول إلا صمفوق وحرف آخر . ويقال لهم : بنو صمفوق ، وآل صمفوق . قال العجاج :

من آل صمفوق وأتباع أخر ، من طائمين لا ينالون الغمر

قال الأزهرى : ويضم صاده . ونصه : كل ما جاء على فعلول ، فهو مضموم الأول ، مثل : زنبور ، وبهلول ، وعمروس ، وما أشبه ذلك ، إلا حرفاً جاء نادراً ، وهو بنو صمفوق ، لخول باليمامة . وبعضهم يقول صمفوق ، بالضم . انتهى — وقال الصاغانى : صمفوق ممنوع من الصرف للعجمة والمعرفة ، وهو وزن نادر ، سموا لأنهم سكنوا قرية باليمامة تسمى صمفوق ، كما تقدم . وقيل : الصمافقة : قوم كان آباؤهم عبيداً فاستعربوا . وقيل : هم قوم من بقايا الأمم الخالية ضلت أنسابهم . ويقال : مسكنهم بالحجاز . وقال الليث : الصمافقة : القوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال عندهم ، ولا نقد عندهم ، فإذا اشترى التجار شيئاً ، دخلوا معهم فيه . ومنه حديث الشعبى : ما جاءك عن أصحاب محمد ، ودعى ما يقول هؤلاء الصمافقة . أراد أن هؤلاء ليس عندهم فقه ولا علم بمنزلة أولئك التجار الذين ليس لهم رؤوس أموال . الواحد : صمفق وصمفق وصمفوق ، بالفتح . واقتصر الجوهرى على الأولين ، والجمع صمافيق أيضاً . قال أبو النجم :

يوم قدرنا والعزيز من قدر ، وآبت الخيل وقضَّين الوطر
من الصمافيق وأدركنا المِئر

أراد بالصمافيق أنهم ضعفاء ، ليست لهم شجاعة ، ولا سلاح ، ولا قوة على قتالنا » اﻫ آخر كلام التاج بنصه على فيه من الطول

رأى الألوسى فى الصمافيق

ونزيد على ما تقدم ، أننا كنا سألنا فى سنة ١٨٩٥ أستاذنا الكبير ، محمود شكرى الألوسى ، عن هؤلاء القوم وأصلهم ، لأنه كان واقفاً أتم الوقوف على ما يتعلق بأخبار العرب وقدمائهم ، وما يتصل بهم . فقال لى : « إنهم يونانيو الأصل ، أتى بهم عبيد أسرى فى صدر الإسلام ، ثم بيعوا ، فوضعوا فى قرية من اليمامة عرفت باسمهم ؛ ثم اتخذوا خولاً ، ومن اليمامة انبثوا

في سائر ديار العرب ، فاستمروا ، فأسلموا ، فاندمجوا بأهالي تلك الربوع ، ولم يبق منهم باقٍ » انتهى .

رأينا الخاص بنا

وعليه فيكون هذا الاسم يوناني الأصل ، وهو بفتح الأول ومنحوت من قولهم saphês أي ظاهر وواضح وصافٍ ، و Agareuô أي تكلم جهاراً في مجلس أو نادٍ ، أو تكلم كلاماً جهورياً ، لأن الحرف بتمامه saphgeoros . وذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يتكلمون ببراعة ومهارة بين أيدي الناس ، ترغيباً في البضاعة والتجارة أو في أي مهنة يزاولونها أو يتخذونها . واليونانيون - حتى عوامهم معروفون بالتشدق . ولما كان هذا الاسم يونانياً ، واشتهر بالفتح قبل أن تضبط قواعد اللغة ضبطاً محكماً بالأقيسة والقواعد ، لم يكن ثقل هذا اللفظ سهلاً ، فاشتهر بين الناطقين بالضاد ، وفشا فشواً غريباً في جميع طبقات الناس ، ولما جاء أرباب القواعد ، لم تصادف لها مزدرعاً طيباً فبقي اللفظ على علاته . ولهذا قد يقاس هذا الحرف أيضاً على القواعد الشائعة ، ولا مانع من ذلك .

فلا جرم أن الفتح هو الأصح ، لقدمه في اللغة ، ولتمكنه فيها ولا سبيل إلى إنكاره ، لاستحكامه في الأنفس وفي الدواوين اللغوية والتاريخية منذ أقدم الأزمنة ، أي منذ نشأة الإسلام . وأما ضبطه بالضم فيكون من باب إجراء أحكام القياس .

إذن يجوز الضبطان ويبقى الفتح هو الأعلى ، وأصح المثال الأمثل الذي يقاس عليه ما يأتي من الحروف على نحوه .

ما جاء من الألفاظ على صعفوق بالفتح

وأما أن هناك غير صعفوق من الألفاظ فما لا شبهة فيه ولا يمكن أن ينكر ، من ذلك : الصعقول ، وقد مر الكلام عليها ، فهي الحرف الثاني

والثالث : ترفوق

والرابع : طرخون

والخامس : برشوم ، لضرب من التمر أو النخل

والسادس : قربوس ، على لغة ذكرها التاج

والسابع : بعكوك وقد مر ذكرها

والثامن : كرموص

والتاسع : صندوق على لغة ذكرها الشارح

والعاشر كندوج

والحادي عشر : سنطور وهو من كلام المولدين

والثاني عشر : برغوث . على لغة وإن أنكرها بعضهم

والثالث عشر : خرنوب ، وإن أنكرها بعضهم ، وهي لغة مشهورة

والرابع عشر : عمروس ، علم رجل . قال في القاموس : « وفتحه من لحن المحدثين » ، ثم زاد الشارح : « وتحريفهم لغرابة بناء فعلول ، سوى صعفوق ، وهو نادر ، قاله الصاغاني

١٥ — حمدون (القاموس واللغويون)

١٦ — سعدون (التاج)

١٧ — ذرنوق في قولهم : الزرنوقان ، بالضم ، ويفتح (القاموس) وزاد في التاج بعد قوله : ويفتح « حكاه اللحياني رواه عنه كراع . قال: ولا نظير له إلا بنو صعفوق : خـول باليمامة . وقال ابن جني : الزَرنوق بفتح الزاي . فَعْنول ، وهو غريب . ويقال الزرنوق بضمها » ا . هـ

١٨ — خلدون ومنه ابن خلدون ، وجميع من ترجم له ضبطه بفتح الأول ، ولم يضبطه أحد بضمه وهو أشهر من أن يذكر

١٩ — سمهوط . قال ياقوت : « بفتح أوله وسكون ثانيه ويقال بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطىء النيل بالصعيد ، دون فرشوط . والله أعلم .

٢١ — سحنون . كذا ضبطه جميع من ترجم لمن اشتهر بهذا الاسم . من ذلك عبد السلام بن سعيد بن حميد التنوخي الملقب بسحنون . ومحمد بن سحنون التنوخي

٢١ — عبدون . ومنه عبد المجيد بن عبدون . الفهري ، من أبناء المائة السادسة

٢٢ — عبدوس . ومنه محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبدوس من أبناء المائة الثالثة . وعبدوس بن زيد ، طبيب من أبناء المائة الرابعة

٢٣ — دستور . جاء في التاج في مادة (دستر) . وفي الأساس : الوزير : الدستور . قال شيخنا : وأصله الفتح ، وإنما ضم لما عرب ، ليلحق بأوزان العرب ، فليس الفتح فيه خطأ محضاً ، كما زعمه الحريري ، وولعت العامة في إطلاقه على معنى الإذن » . اهـ

٢٤ — عصفور . قال في كشف الطرة ص٢٣٣ : « عصفور في لغة حكاها ابن رشيق ، والمشهور فيه الضم » اهـ .

٥٠ – المصريون المحدثون
شمـــائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين
للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعات

تعتبر الزراعة أهم أعمـال المصريين ، ويباشرها كما سبق أن ذكرت جميع السكان ما عدا القليل منهم . ويخصب النيل الجزء الأكبر من الأراضي القابلة للزراعة بفيضانه السنوي . ولكن الحقول التي تجاور النهر والقنوات الكبيرة يحفر فيها جور للماء وتروى بآلات مختلفة الأنواع . والشادوف أكثر هذه الآلات شيوعاً ، وهو يتكون من عمودين من الخشب ، أو من الطين والعصى ، أو من الطين والبردى ، يرتفعان إلى خمس أقدام تقريباً ، ويبلغ ما بينهما أقل من ثلاث أقدام ، ويعلوها قطعة خشبية أفقية تمتد من قمة إلى أخرى ، ويعلق بها عتلة رفيعة تتكون من فرع شجرة ، وينتهي أحد طرفيها بثقالة من الطين ، والطرف الآخر بوعاء يعلق بواسطة قضيبين طويلين من النخيل ، ويصنع الوعاء على شكل طاس من السلال أو من طوق ونسيج من الصوف أو الجلد . ويرفع الماء في هذا الوعاء إلى علو ثماني أقدام تقريباً ويقذف به في حوض معد لذلك . ويلزم لرفع المياه إلى الحقول في أعالي الصعيد عند ما ينخفض النيل أربعة شواديف أو خمسة . وهناك شواديف كثيرة ذات عتلتين يحركها رجلان . ويعتبر الري بالشادوف عملاً شاقاً للغاية . وتوجد آلة أخرى للري وهي « الساقية » وتكاد تكون وحدها المستعملة لري الحدائق في مصر . وتتكون الساقية خاصة من عجلة عمودية ترفع المياه في مجموعة متتابعة من أوعية فخارية مشدودة بحبال ، وعجلة عمودية ثابتة ذات ضروس مثبتة إلى المحور ذاته ، وعجلة كبيرة أفقية ذات ضروس يديرها ثوران أو بقرتان أو حيوان واحد فتحرك العجلتين السابقتين . وتصنع الآلة صناعة غليظة ويحدث تحريكها طقطقة كريهة . وهناك آلة ثالثة تسمى « تابوت » يستعملها المصريون لري الأراضي شمال مصر حيث لا يلزم رفع المياه إلا لارتفاع قليل . ويشبه التابوت الساقية نوعاً ، والفرق الرئيسي بينهما أن للتابوت ، بدلاً من عجلة الساقية ذات الأوعية ، عجلة كبيرة مجوفة الدائرة ترفع فيها المياه . وتستعمل (القطوة) في الأقاليم نفسها . وهي وعاء مثل وعاء الشادوف يشد إلى حبال أربعة ، ويستعمل كثيراً لرفع المياه إلى جرة التابوت . ويحرك القطوة رجلان يمسك كل منهما بحبلين . وتقسم الأرض في نظام الري الصناعي إلى مربعات صغيرة يحدها ارتفاع من التراب أو إلى أخاديد ، فيسيل الماء من الآلة في قناة ضيقة إلى المربعات أو الأخاديد الواحد تلو الآخر

لا تزرع الأراضي (الري) أي التي يغمرها الفيضان ، ما عدا القليل منها ، إلا مرة واحدة في السنة فيبذر القمح والشعير والعدس والفول والترمس والحمص الخ بعد انسحاب المياه في آخر اكتوبر أو ابتداء نوفمبر تقريباً . ويسمي هذا الموسم «الشتوى» . أما الأراضي « الشراقي » وهي التي لا يصل إليها الفيضان لعلوها وبعض الأراضي « الري » فتنتج ثلاث غلات سنوياً بفضل الري الصناعي ، وإن لم تكن الأراضي الشراقي جميعها تزرع هكذا . وتنتج الأراضي التي تروى صناعياً أولاً المحصول الشتوى ، إذ هي تبذر مع الأراضي الري في وقت واحد، بالقمح والشعير على العموم . وعقب ذلك تبدأ زراعة الصيفي أو ما يسمونه في الصعيد القيضي

---

٢٥ — شمعون بالشين المعجمة والميم والعين المهملة . هكذا ضبطه صاحب القاموس

٢٦ — سمغون ، مثل السابق ، إلا أنه بالغين المعجمة ذكره أيضاً القاموس

٢٧ — سنهور ، بالسين المهملة (القاموس والتاج وياقوت)

٢٨ — شنهور كالسابقة ، لكنها بالشين المعجمة (التاج)

٢٩ — بركون (القاموس وياقوت)

٣٠ — جوع برقوع . قال الشارح : « كعصفور وصعفوق جاء الأخير نادراً ندرة صعفوق » . اهـ

الخلاصة :

ليس فعلول من الأوزان النادرة ، وقد ذكرنا من الشواهد على كثرتها وهي ثلاثون . ولو أمعنا في البحث لصمفناها ، وربما مراراً ، لكنا اجتزأنا بهذا القدر إثباتاً لما ذكرناه ، من أن هذه القاعدة ، وهي ليس لفعلول سوى حرفين ، غير صحيح ألبتة ، فيجب نقضها وتذريتها في الهواء هباء منثوراً !

الاب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أو « الجيفى » وتكون عند الاعتدال الربيعى تقريباً أو بعد ذلك فيزرع « الذرة الصيفى » أو النيلج أو القطن الخ . وأخيراً تأتى الزراعة « الدميرى » مدة ارتفاع النيل وتبدأ عند الانقلاب الصيفى أو بعده بقليل ، فتبذر « الذرة الصيفى » مرة أخرى أو « الذرة الشامى » الخ . وهكذا تجود الأرض بمحصول ثالث . ويزرع القصب على مساحة كبيرة فى الصعيد . ويزرع الأرز فى الأراضى المنخفضة قرب البحر الأبيض المتوسط

يستعمل المصريون (النورج) لفصل حبوب القمح والشعير وقطع القش للعلف . والنورج آله على هيئة مقعد تسير على عجلات حديدية صغيرة ، أو صفائح مستديرة دقيقة ، عددها على العموم إحدى عشرة عجلة مثبتة إلى ثلاثة محاور ، أربع عجلات فى المحور الأمامى ، وأربع فى المحور الخلفى ، وثلاث فى المحور الأوسط. ويجر النورج بقرتان ، أو ثوران يدوران فى حلقة فوق الحبوب . أما المحراث وآلات الفلاحة الأخرى ، فهى ذات نوع بدائى .

تشغل الملاحة النيلية عدداً كبيراً من المصريين . وأغلب نوتية النيل أقوياء بارزو العضلات . وهم يقاسون مشقة شديدة فى التجديف وسحب المراكب ودفعها (بالمدرة) ، ولكنهم كثيرو الجذل ؛ ويزيد سرورهم كلما كثر عملهم ، إذ هم يسلون أنفسهم بالغناء . ويتعرض أكثر الربابنة خبرة إلى جنوح سفنهم نتيجة للتغيرات المتواصلة التى تحدث فى مجرى النيل ، ويلزم حينئذ أن ينزل البحارة إلى الماء لدفع المركب بظهورهم وأكتافهم . وتصنع المراكب النيلية بطريقة تمنعها من الاصطدام بحيث يغوص مقدمها فى الماء عن مؤخرها ، ومن ثم يلزم أن تكون الدفة كبيرة جداً . وتكون أحسن أنواع المراكب النيلية ، وهى كثيرة المدد ، بسيطة الشكل رشيقة . وتكون غالباً على طول بين ثلاثين وأربعين قدماً . ويكون لها ساريتان وشراعان مثلثان كبيران ، وقمرة تتلو المؤخرة وترتفع إلى أربع أقدام تقريباً[١] ، وتشغل القمرة ربع المركب أو ثلثها طولاً ؛ وكثيراً ما تشغل الثلثين أو أكثر . ويستخدم عادة ملاح ليمسك حبل الشراع الرئيسى إذ أن الزوابع الفجائية تكثر على النيل فيستطيع أن يترك الشراع يخفق عند أقل إشارة . ويجب أن يكون المسافر حذراً بصفة خاصة مها اعتدل الجو

عدلى طاهر نور

(١) وأصبحت قمرات المراكب أخيراً أكثر ارتفاعا ، لتلائم حاجات السياح الأوربيين

وداع ...!

نشرتْ على الأفقِ البعيدِ قلاعَها ... تلك السفينة أزمعت إقلاعَها
قد خلَّفتني كالغريب بشاطئٍ ... أودعتُ أسراري به فأضاعها
السحْبُ أحبابٌ تمزَّق شملهم ... والشمس غاربةٌ تذيب شعاعها
يبدو على الموج اللعوب ويختفي ... كسراب قافلة يروم خداعها
وسلوُّ ثاكلةٍ وأمنِ مضلَّلٍ ... وكدمع عاشقة، دعت فأطاعها
تذرى مدامعَها فإن مسَّ الأسى ... بردُ التجلد، حاولت إرجاعها

مضت السفينة بالكنوز وودعت ... أرض الصبابة: شطها وبقاعها
ووقفت ثَمَّة لا أطيق فراقها ... قبل الوداع ولا أطيق وداعها
ضمت جوانحُها هناءةَ عاشقٍ ... لو يُسأل الدنيا بديلاً، باعها
وضياء مكفوفٍ وغفوةَ ساهد ... ومباه قافلةِ الهوى ومتاعها
كيف استحال هناؤهن مواجداً ... بل كيف غيَّرتْ السنونُ طباعها
أين الهوى، وشكوكه ويقينه؟ ... كانت رؤى حلم جنتْ هجّاعها
أيام كان لنا جنيناً يُرتجى ... ملأ الجوانح بالنعيم وراعها
ومساء مولده السعيد بجنةٍ ... نفثِ الرقيب وغيَّبت مناعها
بل أين يومَ حبا على بُسُط المنى ... طفلاً تبيح له الجنان رضاعها ...
...أغرت به أرض الشقاء ضباعها ... حسداً وأضرتْ بالغرير سباعها
وا رحمتا للمستظل بدوحةٍ ... لا ظلها يلقى ولا أسجاعها
وا رحمتا للقلب بات نعيمه ... ناراً تزيد على المدى لذّاعها

مضت السفينة بالكنوز وودعت ... أرض الصبابة: شطها وبقاعها
أخفت بخفاق المياه صفاحها ... ورمت لخفاق الرياح شراعها
يهفو إلينا بالشجون وطالما ... أهدى البشائر باللقا وأشاعها
طوراً تُحجِّبُه الدموع وتارةً ... يهتز رفَّافَ المنى لمَّاعها
فإخالها ألقت هنا مرساتها ... وإخالها مدَّت إليَّ ذراعها
ما أضعف الجبار في أوهامه ... طفلاً وما أقوى الرؤى وصراعها
حيناً تغرد للغـــرام وتارةً ... تبكى الصبابة: وُجْدَها وضياعها

(الاسكندرية) **ادوارد حنا سعد**

أنشودة الحرب لأبليس

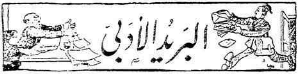
أنشودتي ترقص ألحانها ... على هوى رقص بنيَّاتي
نوافراً حولي كبعض الدمى ... يعلنَّ في الليل مسراتي
على الدم المسفوح أقدامها ... وفوق أجسام وهامات
إرادة الله لها قيمة ... والحرب هذي من إراداتي
هيأتها سراً وأطعمتها ... شراً وألوان العداوات
حتى إذا ما اضطرمت نارها ... وأسفرت عن وجه سعلاة
قمت على آثارها ضاحكاً ... وا بؤس أحياء وأموات!

مصباحي الأحمر أوقدته ... وأقبلت نحوى فراشاتي
أطعمها الموت فلا تنثني ... تقول لي هات لنا هات
وأمة فرقت ما بينها ... حتى غدت أشتات أشتات
وعفت بعد الأمن نسوانها ... شوارداً في عرض موماة
كشفت عنها الستر في ليلة ... رهيبة من بعض ليلاتي
بكى لها السرحان من رحمة ... ولم يكن فيها بمنجاة
وبلدة صيرتها بلقعاً ... من بعد أنهار وجنات
يصيح فيها الموت مستشعراً ... خوفاً ويمضي تحت راياتي
وطفلة أطعمت أحشاءها ... ذئباً ونسراً في العشيات
ودار أنس قد رعاها الهوى ... هدمتها بالمدفع العاتي
فهل درى آدم بعض الذى ... يلقى بنوه من نكاياتي
وهل درت حواء شكري لها ... من يوم عهدى في السموات
بناتها ما حدن عن نهجها ... كلا ولا عفن وصياتي
يقتدن بالرفق قلوب الورى ... إلى منى حمر ولذات

أنشودتي تقطر ألحانها ... دماً ودمعاً من ضحياتي
هدية لله قدمتها ... ولم يزل يخشى هدياتي
صاعدة بين دخان الوغى ... حاملة بعض ابتساماتي

(حلب) **عمر أبو قوس**

حكم في الجنحة ٤٦ أبو قرقاص سنة ١٩٤٣ بحبس كل من محمد حسين خليل وعبد الوارث صالح جزارين بأبيوها ثلاثة شهور شغل وتغريم كل منهما ١٠٠ جنيه والمصادرة لبيعهما لحوم بأكثر من التسعيرة



رجعة إلى المذاهب الصوفية

اطلع القراء الكرام على فتوى[1] « الإمام الطرطوشى » (فى المذاهب الصوفية) وفيها يقول : مذهب الصوفية بطالة وجهالة ... ثم كان أن عززنا هذه الفتوى بنشر[2] رأى أئمة الفقه فى هذه المذاهب . وفى الحق أن فتوى الطرطوشى وفى رأى أئمة الفقه الدليل القاطع على بطلان تلك الطرائق القدد التى أفسدت على الناس عقائدهم ، ومكنت للوثنية من نفوسهم ، حتى إذا ما جئت لتردهم إلى دين الفطرة من توحيد الألوهية والربوبية لووا رءوسهم واستغشوا ثيابهم، ثم قالوا : أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض ؟

وإن فى هذه الطوائف من يعرف الحق ولكنه ينكره عناداً وحرصاً على ما ينعم به من مال وجاه ، كدأب الذين من قبلهم : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا . وهؤلاء هم الرؤساء (المسلكون) الذين اتخذوا الانتساب إلى تلك الطرق حرفة لأكل أموال الناس بالباطل . أمّا ما عدا هؤلاء من الطالبين أو المريدين ، فإن للشيخ (المسلك) سلطة خاصة عليهم حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدى الغاسل ، حتى لو أمره بمعصية لكان عليه أن يعتقد أنها لخيره وأن فعلها متعين عليه . فكان من قواعدهم التسليم المحض ، والطاعة العمياء . وقالوا إن الوصول إلى العرفان المطلق لا يكون إلا بهذا .

ومن ثم زادوا أمراً إدّاً فى الدين هو أظهر من كل ما عداه قبحاً وهدماً للدين « وهو[3] زعمهم أن الشريعة شىء والحقيقة شىء آخر ، فإذا اقترف أحدهم ذنباً فأنكر عليه منكر قالوا فى المجرم إنه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه ، وفى المنكر إنه من أهل الشريعة فلا التفات إليه . كأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين ، وأنه يحاسبهم بوجهين ، ويعاملهم معاملتين — حاش لله ولدينه — نعم جاء فى كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ، ومرادهم به أن فى كلام الله ورسوله ما يعلو أفهام العامة بما يشير إليه من دقائق الحكم والمعارف التى لا يعرفها إلا الراسخون فى العلم فحسب العامة من هذا الوقوف عند ظاهره ، ومن آتاه الله بسطة فى العلم ففهم منه شيئاً أعلى مما تصل إليه أفهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للتزيد من العلم بالله وسننه فى خلقه . فهذا ما يسمونه علم الحقيقة لا سواه ، وليس فيه شىء يخالف الشريعة أو ينافيها » اهـ

أما ما يموه به المتصوفة على العامة وأشباه العامة بحيلهم ودجلهم لإثبات ما يزعمونه لأنفسهم من كرامات فهو ضرب من ضروب السحر كان يقوم بمثله الكهان من العرب فى الجاهلية « وكانت[1] أكثر مخاريق الحلاج من باب المواطآت[2] . ومواطآت الحلاج هى أنه كان يتفق مع أناس من رجاله على ما يلبسون به على الناس بدعوى الكرامات . وقد اكتشف ذلك فى عصره كما بينه التنوخى فى جامع التواريخ « نشوار المحاضرة » ومنه أن رجلاً جاء بصفة مسترشد وإنما هو مختبر فقال له الحلاج : تشهَّ على ما شئت فقال : أريد سمكاً طرياً وكانوا فى بعض بلاد الجبل البعيدة عن الأنهار والبحر ، فدخل بيتاً خالياً من داره وأغلق عليه بابه ، وعاد بعد ساعة طويلة وقد خاض وحلاً إلى ركبتيه وبيده سمكة تضطرب وزعم أنه دعا الله فأمره أن يذهب إلى البطائح قال : فمضيت إلى البطائح فخضت الأهواز وهذا الطين منها حتى أخذت هذه . فقال الرجل : تدعنى أدخل البيت فإن لم ينكشف لى حيلة فيه آمنت بك . فقال : شأنك . فدخل وبعد عناء وتنقيب اهتدى إلى دار كبيرة فيها بستان عظيم فيه صنوف الفاكهة والثمار والنوار ومنها ما ليس من وقته ولكنه محفوظ بحيلة صناعية ، ووجد فيها خزائن مليحة فيها أنواع الأطعمة

(1) الرسالة : العدد ٤٤٨ من السنة العاشرة
(2) الرسالة : العدد ٤٥٢ من « «
(3) تفسير المنار ج ٢ للمغفور له السيد رشيد رضا

(1) نقلا عن تفسير المنار لمؤلفه المغفور له السيد محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٥٤
(2) المواطآت جمع مواطأة وهي الاتفاق بين اثنين أو أكثر على أمر والمخاريق جمع مخراق وهى فى الأصل خرق كانوا يفتلونها ويلعبون بها بإدارتها بخفة ومهارة .

الناضجة والحوائج لما يهيأ بسرعة ورأى فى الدار بركة ماء مملوءة سمكاً فأخذ واحدة منها وخرج ... فتبعه الحلاج فرمى بالسمكة وجهه وصدره وهرب . وأقسم الحلاج ليقتلنه إن حدث أحداً بذلك ولو فى تخوم الأرض . ولم يحدث بها الرجل إلا بعد قتله لعلمه بأنه لو أمر أحد المفتونين به أن يقتله فإنه يفعل »

وبعد فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع — اتخذوا الشيوخ أنداداً ، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة . إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

(كفر الندرة) أحمد أحمد القصير

مثل الحقيقة فى رأى أفلاطون

أورد التوحيدى فى مقابساته مقالة لأفلاطون جاء فيها « إن الحق لم يُصبه الناس فى كل وجوهه ، ولا أخطأوه فى كل وجوهه ، بل أصاب منه كل إنسان جهة . ومثال ذلك عميان انطلقوا إلى فيل ، وأخذ كل واحد منهم جارحة منه ، فجسها بيده ومثلها فى نفسه ، فأخبر الذى مس الرِّجْل أن خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة بأصل الشجرة وجذع النخلة ، وأخبر الذى مس الظهر أن خلقته شبيهة بالهضبة العالية والرابية المرتفعة ، وأخبر الذى مس أذنه أنه منبسط دقيق يطويه وينشره . فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك ، وكلٌّ ما[1] يكذب صاحبه ويدعى عليه الخطأ والغلط والجهل فيما يصفه من خلق الفيل . فانظر إلى الصدق كيف جمعهم ، وانظر إلى الكذب والخطأ كيف دخل عليهم حتى فرقهم ؟

وأنت إذا امتثلت قول أفلاطون هذا خير امتثيل ، استطعت أن تجد فيه تفسيراً لما يقوم بين الناس من نزاع فى كل مجال فلا يكاد الناس يتفقون فى أية ناحية من نواحى الفكر والوجود على الرغم من أن الحقيقة فى ذاتها واحدة . والسر فى هذا الاختلاف ، أن الذهن البشرى لا يستطيع — لفرط قصوره وعجزه — أن يحيط بالأمر الذى ينظر إليه إحاطة وافية ، ولذلك تراه يقصر نظره على ناحية واحدة من نواحيه ، فلا يصيب منه إلا جهة واحدة ، ومن ثم تفوته جهاته الأخرى التى عمى عنها . والذى يحدث أن الجهة التى يصيبها الفرد الواحد تكون مغايرة لما يصيبه غيره من الأفراد ، فينشأ من ذلك الاختلاف والتنازع . وليس ثمة شك فى أن كل ما يقوم بين الفلاسفة والمفكرين من خلاف فى الرأى ، إنما يترتب على اختلاف « الجهات » التى ينظر منها كل واحد منهم . وكثيرا ما تكون آراؤهم جميعاً صحيحة صائبة على الرغم من التعارض الذى يوحى به ظاهر القول . ولعل المرء لا يعدم لذلك فى الطبيعة نفسها ، مثالاً حياً صادقاً : فإن المنظر الطبيعى الواحد ، يختلف أشد الاختلاف تبعاً للجهة التى ينظر منها الإنسان إليه حتى إنك لترى صورتين قد أخذتا لمنظر واحد ، فتتوهم أنهما تمثلان منظرين مختلفين ، وما ذلك إلا لأن الجهة التى أخذت منها الصورة الواحدة ، مختلفة عن تلك التى أخذت منها الصورة الأخرى .

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

فتاوى المفتى الأكبر

أقر معالى وزير العدل جمع فتاوى فضيلة مفتى الديار المصرية الحالى ، وتبويبها مع مقارنتها بالمحفوظ من فتاوى مفتى مصر السابقين ووضع ذلك كله فى كتاب يطبع على نفقة الوزارة وقد جاء فى مذكرة هذا القرار ما يلى :

كتب الواقعات والفتاوى من أقوى الدعائم التى قام عليها بناء الثروة الفقهية الإسلامية وقديماً عنى الملوك والوزراء وسواهم بجمع فتاوى المفتين ونشرها حتى تكونت منها موسعات فقهية عظيمة النفع جليلة القدر ؛ غير أنه منذ بداية هذا القرن لم يظهر بمصر شىء منها ومكانة مصر من العالم الإسلامى تدعوها إلى أن

(١) ما هنا زائدة ، وهو تعبير شائع الاستعمال فى كلام التوحيدى (أنظر الامتاع والمؤانسة ، الجزء الأول ، ص ٢٣)

تكون أول من يعمل على تتابع حلقات هذه السلسلة الفقهية العظمى .

وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الحنفية ومفتى الديار المصرية الحالى قد قضى فى منصب الإفتاء قرابة خمسة عشر عاماً أصدر فى خلالها مجموعة ثمينة من الفتاوى اشتملت على بحوث ضافية وتحقيقات قيمة ، وجمع للنصوص الفقهية وتحريرها وتطبيقها أحسن تطبيق على حوادث هذا العصر فكانت من أفضل المراجع الفقهية وأمتنها حتى لقد رغب الكثيرون من رجال القضاء وسواهم فى ترتيب هذه الفتاوى ونشرها وتكرر إبلاغ هذه الرغبة إلينا . وقد رأينا أن الفائدة تكون أتم ، والنفع أعظم إذا انضم إلى ذلك مقارنة هذه الفتاوى بما هو محفوظ من فتاوى المغفور لهم مفتى مصر السابقين وخاصة فتاوى : الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي .

حكم فى القضية ٢٢٣١ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد فردوس محمود مصطفى بغرامة ٢٠٠ قرش والنشر والتعليق لأنها باعتبارها مديرة محل عمومي (بنسيون) لم تعلن عن الأسعار بالنسبة المؤية بمحلها العمومى

حكم فى القضية ٢٣٠٩ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد ادوارد زنانيرى صاحب رستوران الأرمنياس بغرامة ٢٠٠ قرش والنشر والتعليق لبيعه مشروبات روحية بسعر أكثر من السعر المقرر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)